الكتاب: مسائل الشاك
المؤلف: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
تحقيق: عبدالكريم جدبان.
www.al-majalis.com
ترقيم الصفحات موافق للكتاب المطبوع.

الإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام
مسائل الشاك

تحقيق
عبد الكريم أحمد جدبان

مقدمة

ما الذي يمكن لقلم مثلي أن يسطر في ذكر علي ومديحه؟!

وما الذي يمكنني أن أقوله في رجل نزلت فيه ثلاث مائة آية ، كما ذكره السيوطي.

وما الذي يمكنني أن أقوله في رجل أسهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكره ومديحه ونشر فضائله.

وما الذي يمكنني أن أقوله فيرجل تحاور فيه رجلان ، فقال أحدهما للآخر: أيهما أفضل علي أم أبو بكر؟!

فقال الثاني: ما ظنك برجل اختلف في خلافته – يعني أبا بكر – وفي رجل اختلف في ألوهيته

– يعني عليا –!!!
وما الذي يمكن أن أقوله في رجل دبَّج فيه الشعراء على مر العصور آلاف القصائد؟!
وما الذي يمكن أن أقوله في رجل كتب عنه الكُتّاب على مر العصور آلاف الكتب؟!

(3/1)

وما الذي يمكنني أن أقوله في رجل نبضت قلوب المسيحيين مع المسلمين بحبه ولهجت ألسنتهم بذكره؟!
لذلك كله فلساني كليل وقلمي عاجز عن الوصول عليائه ، والطواف حول بنائه.
لذلك آثرت أن أقدم له بكلمات مَن عاصره من الصحابة الغرر ، ومن كلمات غاص في بحر علمه ونهج بلاغته.
ومن كلمات أربعة مسيحيين من قمم البلاغة والفصاحة ومنارات الإنصاف والأقلام الساحرة.
قال الباحث روكس بن زائد العزيزي المسيحي: أحببت الإمام عليّا كرّم الله وجهه ، من اليوم الّذي قرأت فيه سيرته الخصبة ، وحياته النبيلة ، وقد كنت أحسّ بأنّ انقسام الناس فيه دليل على العظمة!
وكم كنت أودّ أن أسجّل انطباعاتي عنه فأتهيّب ، كالّذي يريد أن يخوض البحر ، وهو يرى البحر للمرّة الأولى في حياته!
أو كالذي يحاول أن يحلّق في الجوّ وهو يجهل الطَّيران!
هذا هو الشعور الّذي كان يخامرني كلّما مددت يدي إلى القلم!

(4/1)

كنت في الخامسة والعشرين من عمري يوم كتبت مقالاً عنوانه ((قِدّيس الإسلام)).
قرأته على صديق لي ، فقال: ((هذا شعر! لكن ثق بأنّك لن ترضي النصارى ، ولا تُعْجِب المسلمين! ستكون متّهماً على أي حال!...)).
وطويت المقال وها أنذا بعد أكثر من خمس وثلاثين سنة أشعر بأنّ سحر هذه الشخصيّة يجذبني لأكتب ، فإذا كتبت شيئاً يستحقّ القراءة ، فإنّما أكتب بوحي من أسد الإسلام وقِدّيسه.
بين يدي الإمام علي

تحيّة خالدة أسد الإسلام!

تحيّة خالدة قديس الإسلام!

تحيّة خالدة أبا الحسن!

تحيّة أيّها الرجل العظيم.

تحيّة لبطولتك.

تحيّة لإنسانيتك.

تحيّة لبلاغتك.

تحيّة لتسامحك.

تحيّة لصبرك.

تحيّة لحكمتك.

تحيّة لصراحتك.

تحيّة لعدلك.

تحيّة خالدة لهذه المزايا التي اجتمعت في شخصيتك الفذّة ، لتكون إنساناً عظيماً.

انقسم الناس فيه:

أ – بين معظّم مخلص في تعظيمه.

ب – مؤلّه مغرق في تكريمه.

ج – شاتم ناقم ، متحامل في حقده ، مفتر عليك في تأثيمه وتجريمه!

هي تحيّة إعجاب!

بل هدية إعجاب يا أبا الحسن ، والهديّة لا ترد وإن تَفِهَت ، ولا سيّما إذا كانت مجرّدة من الأغراض ، إلا الإعجاب الشديد بإنسانيّتك وبطولتك وعظمتك.

* * *

فلقد كنت مثالاً فذّاً في الإنسانية والبطولة ، والإنسانيون الأبطال يحبّون أن يخاطبهم الناس إلى القلب ، بلا تكلف!

فتنازل واقبل مني هذه التحيّة ، فأنت عظيم حقّاً ، ولو لم تكن كذلك ما استطاع تأثيرك أن يمتدّ إلى قلمي ، ويحرّكه بعد أجيال متطاولة ، فأنا لست مسلما ، ولست من شيعتك يا أسد الإسلام وقِدّيسه ، لكنّي أحد الّذين يعظّمون البطولة ، ويعجبون بالعبقريّة ، ويقدّسون الإنسانية(**1**)!...

* * *

(**1**) مقدمة الإمام علي أسد الإسلام وقديسه. طبع الطبعة الثانية (**1399**هـ– **1979**م).

(7/1)

وقال الباحث سليمان كتاني المسيحي: ((علي بن أبي طالب متراس ونبراس)) وأنحني عند ذكر الاسم الكبير ، لأستغفره عن كل تقصير قد يكون بدر مني عن غير قصد ، إذ ليس لقلمي من القدرة أكثر من ذلك كي أُمكّنه من التّطواف في العوالم الشاسعة ، التي تمكنت من أن تفوص فيها نفسيَّة هذا الفذ من بعيد العباقرة..

ولكني رميت بالمحاولة ، والنيَّة الحلوة تحدوني على شغف ، فجمعت على زندي بعض الخصل من تلك الرَّياحين لأُلقيها في هذه الباقة ، علّ النيَّة الصادقة تسهل لها أمام هذا الماثل الكريم بعض القبول.

قِلَّة أولئك الرجال الذين هم على نسج عليٍّ بن أبي طالب.. تنهد بهم الحياة ، موزَّعين على مفارق الأجيال كالمصابيح ، تمتص حشاشاتها لتفنيها هدياً على مسالك العابرين.

وهم ، على قلَّتهم ، كالأعمدة ، تنفرج فيما بينها فسحات الهياكل ، وترسو على كواهلها أثقال المداميك ، لتومض من فوق مشارفها قبب المنائر.

وإنهم في كل ذلك كالرَّواسي ، تتقبل هوجَ الأعاصير وزمجرة السُّحب لتعكسها من مصافيها على السّفوح خيرات رقيقة رفيقة عذبة المدافق.

(8/1)

هؤلاء هم في كل آنٍ وزمان ، في دنيا الإنسان ، أقطابه وروّاده.

إنَّهم في حقول البحث والتنقيب مرامي حدوده ، وفي كل خط ضارب في مهمَّة الوجود أقاصي مجالاته. وإنَّهم له على كلّ المفارق إشارات ترد سبله عن جوامحها ، وفي كل تيه ضوابط

تلملم عن الشطط شوارده ، وهم له في دجية الليل قبلة من فجر ، وفوق كلاحة الرَّمس لملمة من عزاء.
من بين هؤلاء القلَّة يبرز وجه علي بن أبي طالب في هالة من رسالة ، وفي ظلٍّ من نبوَّة ، فاضتا عليه انسجاماً واكتمالاً كما احتواهما لوناً وإطاراً.
وهكذا توفَّرت السانحة لتخلق في أكلح ليل طالت دجيته على عصر من عصور الإنسان فيه من الجهل والظلم والحيف ما يصم ويذل... رجلاً تزاخرت فيه وفرة كريمة من المواهب والمزايا ، لا يمكن أن يستوعبها إنسان دون أن تقذف به إلى مصافِّ العباقرة.
مناجاة
أصحيح يا سيِّدي أنَّهم بدل أن يختلفوا إليك اختلفوا فيك؟!
فمنهم من فقدوك وما وجدوك..
ومنهم من فقدوك ثمَّ وجدوك..

ومنهم من وجدوك ثمَّ فقدوك..
إنه لعجب عجاب!!
* * *
أربعة عشر عموداً من أعمدة القرون ، بساعتها وأيّامها وسنيّها ، ذابت كما تذوب حبَّة الملح على كفِّ المحيط, ولما يذب بعدُ حرف من حروف اسمك الكبير.
فكيف لهؤلاء أن يفقدوك ولا يجدوك, أو يجدوك ثم يفقدوك؟! ويا لسخرية القدر! حتى هؤلاء الذين وجدوك كيف تراهم حدَّدوك ؟!
إنَّ الحرف الذي انزلق عن شفتيك لا يزال منذ أربعة عشر قرناً يأبى أن يتقلّص في زمان أو مكان, لأنّه يحمل عنك نورَ قيمِ الفكر واعتلاجاتِ حقيقةِ الحياة .. وهي أبعد من أن يحصرها إطار.
إنّ الحرف, منطلقاً من بين شفتيك أبى أن ينزل في نطاق, فكيف بك أنت إذ حدّدوك بشورى تُنحّيك عن إمارة, أو بيعة تصلك بخلافة؟! وكيف تمكنوا من أن يحشروك بين بداية ونهاية؟ ..
فإذا قماطك قميص عثمان, وإذا لك على كفَّ ابن ملجم دثار الكفن.

وكيف وجدوا تلك المقاييس فأخذوا يتلهَّون بها عنك وراحوا يقيسونك بها؟ .. فإذا أنت ربع القامة, لست بالطويل ولا بالقصير, عريض المنكبين تميل إلى سمنة ولست بالغليظ, وعيناك على دعج, وعنقك كإبريق فضَّة .. لك ساعدان مفتولان ليس للسَّيف فقط, بل حتى لاقتلاع المزاليج.

ثم كيف أقحموك بين المشاكل و الأحداث فإذا بها تتلقفك كما تتلقف الحلبة مناجزة المتصارعين؟ .

تبتدئ هكذا يوم الجمل بعرقبة ((عسكر)) وجندلة ((طلحة والزبير)) , وتنتهي بـ ((صفين)) , حيث تتحوّل المسرحية إلى مهزلة تختتم بمأساة.

أهكذا نُقشت على حدودك تخوم ، وحوَّط كيانك بسوار؟ .. وأنت الوسيم, ليس لدعج في عينك , بل للهب في بصيرتك .. ولا لبهاء في طلعتك , بل لصفاء في سريرتك .. ولا لغيد في عنقك , بل لجبروت في شيمك.

وأنت أنت البطل, صلب السَّيف والترس في كفيك, ليس لفتلة في زنديك ، أو لعرض في منكبيك, بل لفيض رجح على أصغريك, ثم فاض على نهجيك.

(11/1)

وأنت أنت الناهج الأول, نسجت للدنيا قميصاً على غير النُّول الذي حِيك عليه قميص عثمان. وصغت للدين حساماً كان من غير معدنِ سيفِ عشيقِ ((قطام)).

وأنت أنت الذي ابتدأت الرّكيزة وشهقت بها, تطل على الدُّنيا فوق حدودها وفوق مداها, تحمل في يدك مصحف الرَّسالة, تلوح به على غير النّمط الذي لُوِّح به في ((صفين)) .. مشعلاً يتجاوز وهجه سنم الجمل ومجرى الفرات , ليعبر من مكة والمدينة, ليس إلى نفوذ الجزيرة وربعها الخالي وحسب, بل ليتجاوزها مع الشمس إلى حيث يبزغ الشروق, وإلى حيث يرتطم الغروب.

لو أدرك الذين فقدوك, وحتى الذين وجدوك, أنَّك العملاق ولو بقامة قصيرة ، وأنَّ وجهك ولو من التراب هو من لون الشمس.. لما وصفوك, ولما صدَّقوا حتى اليوم أنَّهم فقدوك.

مدخل

بهذه المناجاة أحببت أن أقرع في دخولي على علي بن أبي طالب.

وأنا أشعر بأنَّ الدُّخول عليه ليس أقل حرمة من الولوج إلى المحراب. وإنَّي أُدرك الصعوبة في

كل محاولة أقوم بها في سبيل جعل الحرف يطيع لتصوير هذا الوجه الكريم, لأنَّ التصوير يهون عليه أن

(12/1)

يلتقط بالأشكال والأعراض, في حين يدقّ عليه أن يتقصّى ما خلف الأعراض من معانٍ وألوان.
وعلي بن أبي طالب هو بتلك الألوان أكثر مما هو بتلك الأعراض, وإنّه عصيٌّ على الحرف بتصويره ، بقدر ما هو قصيٌّ عليه بمعانيه.
فهو لم يأت دنياه بمثل ما يأتيها العاديُّون من الناس ، جماعات جماعات. يأتي الناس دنياهم يقضون فيها لبانات العيش ثم عنها بحكم المقدَّر يرتحلون ، لا تغمرهم بعد آجالهم إلا موجة النسيان...
أما هو ، فلقد أتى دنياه ، أتاها وكأنَّة أتى بها..ولما أتت عليه بقي وكأنَّه أتى عليها.
فإذا اكتفى الحرف فقط بأن يصوِّره في الفسحة التي هي بين مهده ولحده ، فإنَّه يكون كالآلة ، تأخذ مظاهر الأشياء دون بواطنها.
وإنَّ الفرق بعيد بين الباطن والظاهر... فعلي الذي ولد في مكة ، وعاش ستة عقود ، ثم مات في الكوفة.. ليس علياً الذي تقمَّط الجزيرة ولا يزال يعيش مع أربعة عشر قرناً دون أن يعرف خرقة الكفن.

(13/1)

وعلي الذي رضي العيش بالأسمال هو غير عليًّ الذي رفض الحياة بالأسمال.
فإذ ما يقنع الحرف بهذا الشكل أن يصوَّر, يجيء ابن أبي طالب أنشف من كثب في هجيرة, وتبقى مكة مسقط رأسه, ويظل النجف الأشرف مثوىً لجثمانه, ويدم مكفكفاً بأسماله.. وبين الكثب والهجيرة واحة تشتاقها النفوس على عطش, وبين مكة والنجف واحات تفيء إلى أظلالها أجيال الإنسان, وفي تلافيف أسماله برود لا تلبس إلا في الجنان.
أما إذا كان ابن أبي طالب قد حصره التجوال لفترة قصيرة من الزمن بين البصرة والكوفة أو بين مكة والمدينة, فإنَّ ذلك لم يمنع كونه أبداً ذلك العدّاء الذي كانت مواقع خطواته أبعد من محطَّ رحال القوافل.
ومهما يصفه الساردون بأقلام تشط في معابيرها أو تتنزّى بها الأهواء, فإنَّ بطولته التي تتغلب

في سردهم على بطولة أصحاب الأساطير تبقى بطولة أضعف بكثير من حقيقته, لأنَّها من النَّوع الذي تخيب في وصفه حروف الساردين.. لأنَّ السَّرد الذي يتناول الأعراض دون أن ينفذ إلى مضامينها, يبقى سرداً يتعطش إلى معناه كما تتعطش فوهة البئر إلى مخازنها.

ومن هنا: إنَّ كل قول في علي بن أبي طالب يحصره في مكان أو زمان يبقى حديثاً له قيمة السَّرد, ويبقى حروفاً مقفلة لا تنفذ إليها ألوان المعاني.

وما أكثر الأقلام التي تناولته بهذا النوع من السَّرد الكليل, فحصرته ضمن الحروف, ولم تتمكن من أن تطوف به في غير جوَّ مكة,والمدينة ...كأنَّ مجاله البعيد لا يمكن أن يتعدّى دائرةً تصطفُّ عليها ((بدر)) و ((أُحد)) أو ((خيبر)) و ((صفين)) .. وكأنَّ قوته لا اعتبار لها أن تكون من النوع الذي يأتي به مارد القماقم.

الساردون إذ خلطوا بين القوَّة والبطولة ، فاستبدلوا بالوصف هذه بتلك.

والحقيقة ، أنَّ بطولته هي التي كانت من النوع الفريد ، وهي التي تقدر أن تقتلع ليس فقط بوابة ((حصن خيبر)) ، بل حصون الجهل برمتها ، إذ تتعاجف لياليها على عقل الإنسان.

كلّ ذلك لأخلص إلى القول أنَّه يكون من باب الفضاضة أن نربط عبقريَّة رجل كعلي بن أبي طالب بخيوط الأحداث التي بعثرتها حوله ظروف كئيبة كما تبعثر الريح في الجو بعض الغيوم.

فالأحداث التي مرَّت على جانبيه لم يكن له فيها أيَّة إرادة ، في الوقت الذي لم يكن لها هي أي شأن في تغيير جوهر ذلك المعدن

الذي انغلقت عليه شخصيتّه الفذَّة ، كالغيوم عينها التي تتغشى بها صفحة الفضاء لا يمكنها بحال من الأحوال أن تطفئ الشَّمس.

وبالتالي: إنَّ هذه الأحداث ليست غير أشكال وأعراض ، ومهما تتكثَّف ومهما يكثّفها المغرضون ، فإنَّ جوهر ابن أبي طالب يلبث خلفها كما تلبث الشمس خلف الغمام.

لذلك فإنّي أُحاول أن أهرب قدر الإمكان من كل سرد يتناول الأَحداث بيبوستها ، من حيث تسأم عن حواشيها المعاني.

ولن أدخل محراب هذا السيِّد الجليل إلا بإطراقة المبجِّل ، وصمت المتأمِّل ، وإصغاءة

المسترشد.

ولسوف أُغِّلب على حديثي إليه صيغة الأناشيد ما يتمكن من ذلك قلمي ، إذ أنَّ للأناشيد نفحات لا يطيب حرفها إلا مع ذكر الأولياء.

وأستميح لنفسي من علي بن أبي طالب عذراً إن لم أجد ، فهو أجود المجيدين وأسخى العاذرين)) (1).

---

(1) مقدمة الإمام علي نبراس ومتراس. الطبعة الثانية عام (1966م) وهو الكتاب الذي أحرز الجائزة الأولى في التأليف عن الإمام علي.

وقال الباحث والشاعر المسيحيي بولس سلامة: ((ورُبَّ معترض قال: ما بال هذا المسيحي تصدى لملحمة إسلامية بحتة؟! أجل إنني مسيحي ولكن التاريخ مشاع للعالمين.

أجل إني مسيحي ينظر من أفق رحب لا من كوة ضيقة ، فيرى في غاندي الوثني قديساً ، مسيحي يرى ((الخلق كلهم عيال الله)) ويرى أن ((لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى)).

مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمساً كل يوم. رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأناً ، وأبعد أثراً ، وأخلد ذكرا. رجل أطلّ من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلها بلواء مجيد ، كُتب عليه بأحرف من نور: لا إله إلاّ الله! الله أكبر!

قد يقول قائل: ولِمَ آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الملحمة؟

ولا أجيب على هذا السؤال إلاّ بكلمات ، فالملحمة كلها جواب عليه ، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: ((رضي الله عنه ، وكرم وجهه ، وعليه السلام)).

ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحِكَمِه ويخشعون لتقواه ، ويتمثّل به الزهّاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقنوتاً ، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ، ويتطلع إليه الكاتب الألمعي ، فيأتم ببيانه ، ويعتمده الفقيه المِدْرَه فيسترشد بأحكامه.

أما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح ، ويرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلّ عليه الآيات من عَلُ ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسّخ قواعده أبو الحسن ، إذ دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي فقال: انح هذا النحو. وكان علم النحو. ويقرأ الجبان سيرة علي فتهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة ، إذ لم تشهد الغبراء ، ولم تظل السماء أشجع من ابن أبي طالب ، فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليداً ، فعلي هو بطل بدر وخيبر والخندق وحنين ووادي الرمل والطائف واليمن.

وهو المنتصر في صفين ، ويوم الجمل والنهروان ، والدافع عن الرسول يوم أُحد ، وقيدوم السرايا ولواء المغازي.

وأعجب من بطولته الجسدية بطولته النفسية ، فلم يُرَ أصبر منه على المكاره. إذ كانت حياته موصولة الآلام منذ فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضهما على الحق في مسجد الكوفة.

(18/1)

وبعد فَلِمَ تساءلني بأبي الحسن؟! أو لم تقم في خلال العصور فئات من الناس تؤلّه الرجل؟! ولا ريب أنها الضلالة الكبرى ، ولكنها ضلالة تدلك على الحق إذ تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى.

ولم يستطع خصوم علي أن يأخذوا عليه مأخذا فاتهموه بالتشدد في إحقاق الحق ، أي أنهم شكوا كثرة فضله فأرادوه دنيوياً يماري ويداري ، وأراد نفسه روحانياً رفيعاً يستميت في سبيل العدل ، لا تأخذه في سبيل الله هوادة. وإنما الغضبة للحق ، ثورة النفوس القديسة ، التي يؤلمها أن ترى عوجاً.

أولم يغضب السيد المسيح وهو الذروة في الوداعة والحلم ، يوم دخل الهيكل فوجد فيه باعة الحمام والصيارف المرابين فأخذ بيده السوط وقلب موائدهم وطردهم قائلا: بيتي بيت الصلاة يدعا ، وأنتم جعلتموه مغارة للصوص؟!!

بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعياً. فإذا كان التشيع تنقيصاً لأشخاص أو بغضاً لفئات ، أو تهوراً في المزالق الخطرة فلست كذلك. أما إذا كان التشيع حباً لعلي وأهل البيت المطيبين

الأكرمين ، وثورة على الظلم ، وتوجعاً لما حلّ بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ فإنني شيعي.

فيا أبا الحسن! ماذا أقول فيك ، وقد قال الكتّاب في المتنبي: ((إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس)) وإن هو إلا شاعر له حفنة من الدر إزاء تلال من الحجارة. وما شخصيته حيال عظمتك إلا مَدرَةً على النيل خجلى من عظمة الأهرام.

حقاً إن البيان ليسفّ ، وإن شعري لحصاة في ساحلك يا أمير الكلام،ولكنها حصاة مخضوبة بدم الحسين الغالي ، فتقبل هذه الملحمة وانظر من رفارف الخلد إلى عاجزٍ شرّف قلمه بذكرك)) (1).

---

(1) مقدمة عيد الغدير. الطبعة الثانية (1406هـ- 1986م).

وقال الباحث والكاتب المترسل المسيحي جورج جرداق: ((للإنسانية تاريخ طويل غريب واحد.

أما ما يؤلف طوله فعمر الإنسان القديم تمتد به يد الدهر حتى تصله بأول أيام الارض ، ثم هذا التطور المتثاقل البطيء من مرحلة إلى مرحلة ومن حياة إلى حياة.

وأما ما يؤلف غرابته فأكثر من أن يساق في مقدمة أو يبحث في كتاب؟

ولعل أبرز مظاهر هذه الغرابة ما نراه من فترات زمنية عاشتها هذه الجماعة أو تلك من البشر ، أو هذا الفرد أو ذاك ، في قمة من قمم الصعود الإنساني بين منخفضات سحيقة رهيبة من الانحدار ، حتى ليرتاب الناظر إلى هذه القمم تُحاط بهاتيك المنحدرات ، بأن للتاريخ نظاماً حسابياً قاصداً يسير عليه! وإلا فكيف يُفسّر ارتفاع الأغارقة في عصرٍ من عصور هذا التاريخ واقعٍ بين أعصرٍ شتى من المهاوي المتلاحقة. فإذا هم يعبّرون عن حقيقتهم خلال هذا الشموخ بعباقرة تصنع أيديهم صُوَرَ الخير والجمال وتكشف عن وجه الحق ، وتضع عقولهم أصولا وقواعد في الفن والعلم والأخلاق وما إليها من شؤون الفكر وشؤون الكيان الإنساني جميعا. وإذا بمدينتهم العظمى

أثينا تعلو في الأرض حتى إذا طمحت إليها أبصار الغزاة تعالَوا إليها من كل وادٍ ووثبوا عليها من كل سهل فغالتها حرابهُم ونشرت على جدرانها ظلال الفناء ... قممها ووديانها ، برّها وبحرها ، فما على الإنسان إلا أن يستنير بنورها فلا يُقيم دونه حدودا وجدرانا ، وأن يتدفأ بنارها في برودة أيامه فلا يسعى في منع الدفء إلى زوايا الصقيع من حياته.

في تاريخ الشرق ، كما هي الحال في تاريخ البشر جميعا ، غزاة ، ومجرمون ، ولصوص محترفون ، وأغبياء ، وتافهون ، شاء منطق العصور القديمة والمتوسطة أن يجعل منهم في حياتهم ملوكاً وقادة وأصحاب قولٍ فصل وأمر مطاع ، وأن يصنع منهم بعد هلاكهم أبطالا وعظماء ، فخلع عليهم في الحالتين الألقاب الضخمة بغير حساب!

وها نحن ما نزال تصفع وجوهنا ، في الكتب التي يتنافس في تلفيقها بعض حملة الألقاب ، صفحاتٌ باردة كأنها الزمهرير من بطولات أولئك المجرمين ، وفصولٌ من عظمة أولئك التافهين ، حتى ليوهم هذا النمط من المؤلفين قراءهم بأن البطولة ليست إلا نوعاً من تصرّف النخاسين ، وبأن العظمة ليست إلا شيئا من البراعة في النهب والسلب والاغتصاب والتقتيل والتدمير واصطناع أسباب

الإبادة ، ثم التبجح بالجريمة والزهو بالتفاهة والاعتزاز بصناعة الترويع والتجويع وكل أمرٍ فظيع!

لذلك جئنا بهذا الكتاب ، بعد أن طلبنا العافية لأولئك المؤلفين ، نلمّ فيه بشخصية بطل حق ، لأنه إنسان حق ، لعلّنا نضيفه إلى سلسلة المؤلفات الخيرة التي تتكاثر في مكتبتنا العربية اليوم.

وبذلك نستيقظ على أمورٍ أهمها:

أن تاريخنا هو أيضا صفحاتٌ رائعة من الإشراق الإنساني العظيم تشرّفنا كعرب ، كما تضيف شرفاً إلى تاريخ الإنسان.

ومن الأمور التي نستيقظ عليها في دراسة عليّ وعصره وما تلاه من عصور ، ذلك المقدار العظيم من الإسهام في مقاومة الظالم ونصرة المظلوم ، ومن معاندة الاستعباد والاستغلال والعمل على تفويض أسبابهما ، بسنّ الأنظمة والدساتير في النطاق الذي تسمح به إمكانات الزمان والمكان ، وبالتضحية في سبيل الكرامة الإنسانية بكل عزيز من الدم والحياة ، فإذا بنا

نعي أكثر فأكثر أن تاريخنا ليس كله ظلمةً وظلماً. ففي بقايا لياليه ومضاتٌ وبروق! وفي دياجيره متألقاتٌ وأهلّة! وفي غياهب جَوره غُررٌ حسانٌ وأيامٌ بيضٌ وشموسٌ ضاحكات ، ثم أمطارٌ هَتَنَتْ بها السماء على صحاريه رذاذاً تارةً وطوراً عُباباً!

(23/1)

وإن مثل هذه الصفحات المشرقة في تاريخنا لتؤهلنا إلى أن نعيد النظر في أنفسنا من جديد ، تحطيماً لكثير من القيود التي كبلتنا بها عصور الظلمات الطويلة ، وتمجيداً للبطولة الحقيقية التي هي بطولة فرد من الأفراد أو جيلٍ من الأجيال في سبيل الإنسانية بأسرها ، وتدعيماً لقومية عربية إنسانية تجعل خدمة الإنسان – في نطاقها وفي كل نطاق – غايتها البعيدة وهدفها الأقصى. ذلك أن الشعب الذي أمكنة أن يعبّر عن عبقريته منذ أربعة عشر قرناً برجل كعلي بن أبي طالب ثم بمجموعة من الناس كبعض تلاميذه وأنصاره يومذاك ، هو شعب يستطيع اليوم – في عصر غزو الأفلاك – أن يمشي مع القافلة التي تسير وهي تنظر أبداً إلى الأمام ، وهي إن نظرت إلى الوراء فلكي تستمد من وجودها الطويل عزيمةً وقوة ، لا لكي تستريح حيث حطّ بها السير أو حيث جرفها تيار التاريخ!

أضف إلى ذلك كله أمرين اثنين:

أولهما: أن كل شعب من شعوب هذه الأرض الوسيعة قد نظر إلى الشوامخ في صفحاته الخاصة من تاريخ الإنسانية الواحد ، فدرَسها درساً كثيرا ، وجلّى مكانة كلٍ منها فوضعه في مقامه ، مفيداً من ذلك عبرةً وقوة. ثم راح بعد ذلك يبحث في أنصاف الشوامخ ، وفي أنصاف هؤلاء كذلك ، وهلمّ جراً ، متمماً ما يمكن

(24/1)

له أن يفيد من حوادث التاريخ وسيَرِ أبطاله وعظمائه الحقيقيين ، آخذاً منهم حافزاً جديداً له على المسير.

فلمَ لا نفعل مثلما يفعلون؟!

ولِمَ لا نضع شوامخنا إلى جانب شوامخهم بعد الموازنة والمقابلة وقصةُ تاريخنا واحدة وعظماؤنا لنا أجمعين؟!

وثاني الأمرين: أن علي بن أبي طالب من الأفذاذ النادرين الذين إذ عرفتهم على حقيقتهم بعيداً

عن الصعيد التقليدي الذي درجنا على أساسه ندرس رجالنا وتاريخنا ، عرفت أن محور عظمتهم إنما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة ، وبأن هذا الإنسان متطور أبدا ، وبأن الجمود والتقهقر والتوقف عند حالٍ من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلا نذير الموت ودليل الفناء.

فقليلٌ جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبذرون في عقلك ويُلقون في نفسك مثل هذه القاعدة الأصل من قواعد التطور ، وكأن علياً ينزع بها عن لسان الطبيعة وقلب الحياة: ((لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم !)).

وقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذي يبذرون في عقلك ويلقون في نفسك مثلَ هذه القاعدة العظيمة التي تطال

(25/1)

المسلك الإنساني بكامله ، فتوجّه كل نشاط وتراقب كل عمل: ((من اعتدل يوماه فهو مغبون))

وما يريد ابن أبي طالب بذلك إلا التصريح بأن الغبن لا يلحق الجماعة من الناس إلا إذا استوى حاضرهم وأمسهم ، وبأن الغُنم هو أن يكون حاضرهم خيراً من يومهم. ولا يتم ذلك إلا بالانسياق مع تيار الحياة الذي لا يهدأ.

وقليلٌ جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبذرون في عقلك ويُلقون في نفسك موازينَ العدالة الكونية تنبثق عن نفسها وبنفسها تقوم ، متكشفين بنور العبقرية أن ((من ساء خلقَه عذّب نفسه!)).

وقليلٌ جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين أدركوا وعاشوا وقالوا: ((إن كل إنسان نظير في الخلق)) ، و ((أن الناس أسوة!)).

وقليلٌ جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين وعَوا أن ((الاحتكار جريمة)) ، وأنه ((ما جاع فقير إلا بما مُتّعَ به غني)) ، وأن ((الذنب الذي لا يُغفر هو ظلم العباد بعضهم لبعض)) ، ثم راحوا يخلقون القوانين وينظمون الدساتير على أساس هذا الوعي الكريم!

(26/1)

وقليلٌ جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين عاشوا هذه المبادئ الأصول جميعاً ، وجلّوها وأقاموا عليها مذاهب فكرية واجتماعية متماسكة خرجوا بها من نطاق الأفكار المستقلّ بعضها عن بعض إلى إقامة البناء المنظم الواحد ذي القواعد والأركان!

ثم إن لما انبثق من وجود عليّ قصةً في تاريخنا ذات فصولٍ عجاب! قصة تناوَلت خطوطها الكبرى من شموخ علي ومن صموده ، وراحت تنسج حوادثها أيدي الزمان! إنها قصة الثورة التي عاشها العالم العربي خلال عصورٍ قاتمات تناهى سوء حالها في الاستئثار والامتهان وطغيان ليالي الاستبداد الرهيب!

فلا قوي فيها – بمقياس قوة البهيمة – إلا وهو سيدٌ مطاع ينكّل ويقتل وينهب ويسطو ويضرب الخلقَ بالترويع!

ولا لص فيها إلا وهمته أن يأكل الناس مع الآكلين!

ولا سفاح إلا ورقاب الأبرياء مَحصَدَةٌ لسيفه!

ولا جاهل إلا وقصرُه من جماجم المفكرين!

ولا عبد إلا وله مأثرةٌ في قتل حُر!

ولا تافه إلا ويمشي في الأرض مرحاً وهو يحسب أنه يخرق الأرض وأنه يبلغ الجبالَ طولا!

ولا جَرو وعواع من جراء هؤلاء إلا وله رأيٌ وصوتٌ ويدٌ في تحديد مدة الحياة للأحياء ، وكأن تاريخنا من ثم فصل من تاريخ الإنسانية العام الذي عرف من هذه المظالم كثيراً أو قليلا! وعلى سبيل المثل العابر ، أفلم يحكم ((سيراكوز)) في العصر القديم طاغية حقير يُدعا: دينيس فيبيع أفلاطون العظيم رقيقاً فيفتديه أحد أصدقائه ويرد إليه حريته! ثم يقوم بعد دينيس ابنٌ له أحقر من أبيه يدعا: دينيس الصغير ، فيعقد النية على أن ينكّل بالفيلسوف الجليل ، فينجو الفيلسوف للمرة الثانية ، ثم يعود ويعتزم قتله ، فينجو هذه المرة أيضاً بأعجوبة على يد أحد تلاميذه المخلصين؟

أقول: إنها قصة الثورة التي عاشها العالم العربي خلال المهالك المفزعة في ضمائر الأحرار وعلى ألسنتهم وبأيديهم. وهم كثيرٌ في طليعتهم تلاميذ علي الآخذون من نهجه وخلقه وصموده في وجه الاستبداد ، والممثلون للقوى المعارضة في حكم الطغاة في أكثر أدوار تاريخنا المتوسط والقديم.

ثورة الإنسان المرهَق المظلوم الذي تبنى قصة الدفاع عن نفسه وعن المستضعفين

والمضطهدين ، مختاراً أو مَسوقاً لا فرق. وقصة هذه الثورة الطويلة التي عللها كثيرون ، فقال بعضهم: إنها خيرٌ كلها فأيدوها ، وقال بعضهم: إنها شر كلها فأنكروها ، جديرة بأن

(28/1)

تدرس في ضوء جديد وهي في حقيقتها البعيدة التي نراها استمرارا مشدودا على الزمان لقصة علي ذاتها مع محاربيه بالسيف والحيلة. وهي بذلك صفحات من الكفاح في سبيل الحياة خطها في تاريخنا آباء لنا سابقون ، فكانت لنا تعويضاً عظيماً عما في أمسنا من آثام واعتداءات!

وخلاصة القول ، إننا إذ ننطلق من النطاق العربي إلى النطاق العالمي الوسيع. ومن حدود الزمان العربي المقيد بتاريخين متقاربين إلى حدود الزمان العالمي الذي يشمل بدء وجود الإنسان حتى عصر النهضة في أوروبا ، والذي عاش فيه عباقرةٌ عظام ، وسُنّت دساتير ، وقامت ثورات إجتماعية وأخلاقية وسياسية. لا بد لنا أن ندرك أن لابن أبي طالب مكانة بين هؤلاء الأفذاذ أصحاب الدساتير ومحدثي الثورات ، فما هي هذه المكانة! وما هو محل الرجل بين أولئك الرجال؟!

أليس من الغبن أن يدور الحديث في أكثر المؤلفات الموضوعة عن ابن أبي طالب حول موضوعات تكاد تنحصر في واحد يدور فيه كل بحث وكل جدال ، وهو إن جاوزه فللكلام على الضرب بالسيوف حتى تتقوس ، والطعن بالرماح حتى تتقصف ، ثم عن مقاتليه تنحطّ عليهم الطير من السماء وتمزقهم سباع الأرض؟!

(29/1)

إن لهذه الأمور موضوعاً في تاريخ علي ولا ريب ، لأن أخبارها انحسرت عن ألف قضية وقضية في التاريخ البعيد. ولكن جوانب العظمة الحقيقة في ابن أبي طالب أكثر من ذلك. وهي إن درست فلكي تتوضح بعض الخفايا التاريخية في حياة الرجل وحياة معاصريه ، لا لكي يدور على محورها كل بحث وكل نقاش.

لقد جهدنا أن يحفل هذا الكتاب بنظرات جديدة تتعلق بعصر علي ، وبنظرات موسّعة جديدة كذلك تتناول عبقريته ، ثم بالتفاتة جامعة تشمل ما انطوى عليه تاريخ الإنسانية من معنى الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً ، وكيف تدرّج هذا المعنى من طورٍ إلى طور وفقاً لسير التاريخ

العام ، لنوضح بعد ذلك ما أمكننا أن نوضح من معنى الإنسان عند علي بن أبي طالب بالمقابلة بينه وبين مفكري العصور من بعض الجوانب ، وبين مبادئه العامة ومبادئ الثورة الكبرى المعروفة بالثورة الفرنسية بوصفها خاتمة عهود في تاريخ البشر ، وفاتحة عهد جديد!
ومما أثبتناه أيضا في هذا الكتاب أبحاث تتناول كلا من علي وسقراط بالتحليل ، ثم تتناول الرجلين بالمقارنة والموازنة في فلسفة الأخلاق وفي غيرها من شؤون الإنسان. وبحثٌ يُظهر أن علياً يمثل في جملة كيانه جانباً عظيماً من العدالة الكونية الشاملة. ودراسة

(30/1)

واسعة الغرضُ منها الكشف عن مقدار ما في شخصية ابن أبي طالب من تماسك لا يصح بغير وجوده بحثٌ ولا يستقيم رأي. ولقد بدا لنا من تماسك هذه الشخصية ما يُدهش ويُعجب. ثم أبحاث تدور حول معنى التشيُّع في التاريخ العربي وفيها كشفٌ عن الأغلاظ التي رضيَها أكثر المؤلفين لأنفسهم بصدد هذا الموضوع الدقيق. وأخرى تتناول أثر علي في الأدب العربي خلال العصور المتوسطة. ودراسةٌ خاصة بعنوان: الإمام علي والقومية العربية. ثم دراسات كثيرة غيرها.
وقد مهدنا لهذه الأبحاث جميعاً برأيٍ لنا مفصّل في أساليب الباحثين ساعة يدرسون تاريخنا القديم ويرون آراءهم في قضاياه. وبفضل تحدثنا فيه عن الحدود الحقيقة التي يمكننا أن ندرس تاريخنا ضمنها. وأنهيناها بالنظر في الدراسات التي وضعها المؤلفون العرب والأجانب عن ابن أبي طالب وبإبداء رأينا فيها.
بقي أن نوضح أمراً يتعلق بما أشار إليه بعض النقّاد من مقاطع هنا أو هناك هي أقرب إلى الشعر منها إلى البحث. ولمّا كان هذا الأمر موضحاً في الفصل الذي عقدناه عن الأوروبيين والإمام ، فقد كفينا نفسنا والقارئ عناء إيضاحه الآن. وإن ردّنا على هذا التزمّت المنسوب زُوراً إلى العلم ، والذي يريد أن يسلب النارَ حرارتها والريحَ عصفها والنهر مجاريه ، والذي لا نرى فيه إلا كلالاً وعجزاً

(31/1)

يتستران ببرقعٍ صَنَعاه وقالا إنه من صنع العلم ، لجديرٌ بأن نلفت إليه النظر لأنه يتناول جوهراً في أسلوب الدراسات ، لا عَرضاً.

وأن نكون قد أنصفنا بعض أطوار تاريخنا وأفدنا منها عبرةً في سيرنا الصاعد مع موكب الحياة المتجددة أبدا. أسوةً بغيرنا من إخواننا البشر الذين يُفيدون من تاريخهم الخاص ، وأسوة بغيرنا وبأنفسنا ساعة نُفيد من تاريخ الإنسانية الشامل ، ذلكم رجاؤنا من هذا الكتاب)) (1).

وقال الباحث والكاتب ميخائيل نعيمة وهو يقدم لكتاب جورج جرداق السالف الذكر: ((لنا في حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل. فهم القمم التي نتطلَّع بشوقٍ إليها ولهفة ، والمنارات التي تكشِّح الدياجير من أمام أرجلنا وأبصارنا. وهم الذي يجدِّدون ثقتنا بأنفسنا وبالحياة وأهدافها البعيدة السعيدة. ولولاهم لتولانا القنوط في كفاحنا مع المجهول ، ولرفَعنا الأعلام البيض من زمان وقلنا للموت: نحن أَسراكَ وعبيدك يا موت. فافعل بنا ما تشاء.

---

(1) مقدمة الإمام علي صوت العدالة الإنسانية. خمسة مجلدات الطبعة الأولى عام (1970م).

إلا أننا ما استسلمنا يوماً للقنوط ، ولن نستسلم. فالنصر لنا بشهادة الذين انتصَروا منا. وابن أبي طالب منهم. وهم معنا في كل حين ، وإن قامت بيننا وبينهم وهدات سحيقة من الزمان والمكان. فلا الزمان بقادر أن يخنق أصواتهم في آذاننا ، ولا المكان بماحٍ صورهم من أَذهاننا. وهذا الكتاب الذي بين يديك خير شاهد على ما أقول. فهو مكرَّس لحياةٍ عظيم من عظماء البشرية ، أَنبتته أرض عربية ، ولكنها ما استأثرت به. وفجَّر ينابيع مواهبه الإسلام ، ولكنه ما كان للإسلام وحده. وإلا فكيف لحياته الفذَّة أن تلهب روح كاتبٍ مسيحي في لبنان وفي العام 1956 ، فيتصدَّى لها بالدرس والتمحيص والتحليل ، ويتغنَّى تغني الشاعر المتيَّم بمفاتنها ومآثرها وبطولاتها؟!

وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته ، وطهارة وجدانه ، وسحر بيانه ، وعمق إنسانيته ، وحرارة إيمانه ، وسموّ دعته ، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم ، وتعبُّده للحق أينما تجلَّى له الحق. وهذه البطولات ، ومهما تقادم بها العهد ، لا تزال مقلعاً غنياً نعود

إليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتدَّ بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة.

لست أريد أن أستبق القارئ إلى الكشف عن مواطن المتع في هذا الكتاب فهي كثيرة.

منها: بيانٌ مشرق يسمو هنا وهناك إلى سوامقَ من الصور الشعرية ، المشبوبة العاطفة ، الزاهية اللون ، العذبة الرنَّة.

ومنها: اتِّزان في التقدير والتفسير.

ومنها: محاولة جريئة في نقل عليٍّ وآرائه السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية إلى مسرح الحياة التي نحياها اليوم. وهي محاولة بارعة وموفّقة ، ما فطن لها الذين كتبوا في الموضوع من قبل. ناهيك باجتهادات جديدة في تفسير بعض الأحداث التي رافقت حياة الإمام تفسيراً يغاير النمط الذي درج عليه مؤرّخوه حتى اليوم.

إنه ليستحيل على أي مؤرخ أو كاتب ، مهما بلغ من الفطنة والعبقرية ، أن يأْتيك حتى في أَلف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الإمام علي ، ولحقبةٍ حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة التي عاشها. فالذي فكَّره وتأَمّله ، وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه وربه لمِمّا لم تسمعه إذن ولم تبصره عين. وهو أكثر بكثير مما عَمِله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه. وإذ ذاك فكل صورة

نرسمها له هي صورة ناقصة لا محالة. وقصارى ما نرجوه منها أن تنبض بالحياة.

إلا أن العبرة في كتاب من هذا النوع هي في تفحُّص ما اتصل بنا من أعمال علي وأقواله. ثم في تفهُّمه تفهُّماً دقيقاً عميقاً. ثم في عرضه عرضاً تبرز منه صورة الرجل كما تخيله المؤلف ، وكما يشاؤك أن تتخيله.

ويقيني أن مؤلف هذا السفر النفيس ، بما في قلمه من لباقة ، وما في قلبه من حرارة ، وما في وجدانه من إنصاف ، قد نجح إلى حدٍ بعيد في رسم صورةٍ لابن أبي طالب لا تستطيع أمامها إلا أن تشهد بأنها الصورة الحية لأعظم رجل عربي بعد النبي)) (1).

---

(1) مقدمة الإمام علي صوت العدالة الإنسانية.

[ابن عباس]

روي عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة قال: أسلم أعرابي على يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فخلع عليه علي عليه السلام حلتين ، وخرج الأعرابي من عنده فرحا مستبشرا ، وبحضرة الباب قوم من الخوارج ، فلما أن نظروا إلى الأعرابي وفرحه بإسلامه على يدي علي عليه السلام حسدوه على ذلك ، وقال بعضهم لبعض: أما ترون فرح هذا الأعرابي بإسلامه؟! تعالوا ننزله عن ولايته ، ونرده عن إمامته ، فأقبلوا بأجمعهم عليه وقالوا له:

يا أعرابي من أين أقبلت ؟

قال: من عند أمير المؤمنين عليه السلام.

قالوا: وما الذي صنعت عنده ؟

قال: أسلمت على يديه.

قالوا: ما أصبت رجلا تسلم على يديه إلا على يدي رجل كافر !!

فلما سمع ذلك الأعرابي غضب غضبا شديدا ، وثار القوم في وجهه وقالوا: لا تغضب ، بيننا وبينك كتاب الله.

فقال: اتلوه.

فتلا بعضهم: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا } ... إلى قوله: { سَبِيلًا } [النساء:137].

فقال لهم الأعرابي: ويلكم فيمن هذه الآية ؟

قالوا: في صاحبك الذي أسلمت على يديه.

فازداد الأعرابي غضبا وضرب بيده إلى قائمة سيفه وهمّ بالقوم.

ثم إنه رجع إلى نفسه – وكان عاقلا – وقال: لا والله لا عجلت على القوم ، وأسأل عن هذا الخبر ، فإن كان كما يقولون خلعت عليا ، وإن كان على خلاف ما يقولون جالدتهم بالسيف إلى أن تذهب نفسي.

قال: فأتى ابن عباس – وهو قاعد في مسجد الكوفة – فقال: السلام [عليك] يا ابن عباس.

قال ابن عباس: وعليك السلام.

قال: ما تقول في أمير المؤمنين ؟

قال: أي الامراء تعني يا أعرابي ؟

قال: علي بن أبي طالب.

قال: وكان ابن عباس متكئا فاستوى قاعدا ، ثم قال له: لقد سألت يا أعرابي عن رجل عظيم ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ذاك – والله – صالح المؤمنين ، وخير الوصيين ، وقامع الملحدين ، وركن المسلمين ، ويعسوب المؤمنين ، ونور المهاجرين ، وزين المتعبدين ، ورئيس البكائين ، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائمين ، وسراج الماضين ، وأول السابقين من آل يس ، المؤيد بجبرئيل الامين ، والمنصور بميكائيل المتين ، والمحفوظ بجند السماء أجمعين ، والمحامي عن حرم المسلمين ، ومجاهد أعدائه الناصبين ، ومطفئ نيران الموقدين ، وأصدق بلابل (1) الناطقين ، وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، عين رسول رب العالمين ، ووصي نبيه في العالمين ، وأمينه على المخلوقين ، وقاصم المعتدين ، وجزار المارقين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكم العابدين.

ناصر دين الله في أرضه ، وولي أمر الله في خلقه ، وعيبة علمه ، وكهف كتبه ، سمح سخيّ ، سند حييّ ، بهلول بهيّ ، سنحنح

---

(1) كذا.

جوهريّ ، زكي رضيّ ، مطهر أبطحيّ ، باسل جري ، قِرم همام ، صابر صوَّام ، مهذب مقدام ، قاطع الأصلاب ، عالي (1) الرقاب ، مفرق الأحزاب ، المنتقم من الجهال ، المبارز للأبطال ، الكيال في مكيال الإفضال.

أضبطهم عنانا ، وأثبتهم جنانا ، وأمضاهم عزيمة ، وأشدهم شكيمة ، وأسدهم نقيبة ، أسد بازل ، صاعقة مبرقة ، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة ، وقرنت الأعنة ، طحن الرحى بسفالها ، ويذروهم ذرو الريح الهشيم ، باسل ، بازل ، صنديد هزبر ضرغام ، عازم عزام ،

خطيب حصيف ، مصقع محجاج ، مقول ثجاج ، كريم الأصل ، شريف الفضل ، نقي العشيرة ، فاضل القبيلة ، عبل الذراع ، طويل الباع ، ممدوح في جميع الأفق (2).
أعلم من مضى ، وأكرم من مشى ، وأوجب من ولي بعد النبي المصطفى ، صلى الله عليه وآله ، ليث الحجاز ، وكبش العراق ، مصادم الأبطال ، والمنتقم من الجهال ، ركين الركانة ، منيع الصيانة ، صلب الأمانة ، من هاشمٍ القمقام ، ابن عم نبي الأنام ،

---

(1) كذا.

(2) كذا.

السيد الهمام ، الرسول الإمام ، مهدي الرشاد ، المجانب للفساد ، الأشعب الحائم الحاطم ، والطبل (1) المهاجم ، والليث المزاحم.
بدري أحدي ، حنفي مكي ، مدني شعشعاني ، روحاني نوراني ، له من الجبال شوامخها ، ومن الهضاب ذراها ، وفي الوغى ليثها ، ومن العرب سيدها ، الليث المقدام ، والبدر التمام ، والماجد الهمام ، مبجل الحرمين ، ووارث المشعرين ، وأبو السبطين ، الحسن والحسين.
من أهل بيت أكرمهم الله بشرفه ، وشرفهم بكرمه ، وأعزهم بهداه ، وخصهم لدينه ، واستودعهم سره ، واستحفظهم علمه ، جعلهم عُمدا لدينه ، وشهداء على خلقه ، وأوتاد أرضه ، ونجباء في علمه ، اختارهم واصطفاهم ، وفضلهم واجتباهم ، عَلَما لعباده ، ومنارا لبلاده ، ولاهم على الصراط.
فهم الائمة الدعاة ، والسادة الولاة ، والقادة الحماة ، والخيرة الكرام ، والقضاة والحكام ، والنجوم والأعلام ، والعترة الهادية ، والقدوة العالية ، والأسوة الصافية ، الراغب عنهم مارق ، واللازق بهم لاحق ، هم الرحم الموصولة ، والائمة المتخيرة ، والباب المبتلى

---

(1) كذا.

به الناس ، من أتاهم نجا ، ومن نأى عنهم هوى ، حطة لمن دخلهم ، وحجة على من تركهم. هم الفلك الجاري في اللجج الغامرة ، يفوز من ركبها ويغرق مَن جانبها ، تتصدع عنهم الأنهار المنشعبة ، وتنفلق عنهم الأقاويل الكاذبة ، هم الحصن الحصين ، والنور المبين ، وهدى لقلوب المهتدين ، والبحار السائغة للشاربين ، وأمان لمن تبعهم أجمعين ، إلى الله يدعون ، وبأمره يعملون ، وإلى آياته يرشدون ، فيهم توالت رسله ، وعليهم هبطت ملائكته ، وإليهم بعث الروح فضلا من ربهم ورحمة ، فضلهم لذلك وخصهم وضربهم مثلا لخلقه ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين من اليُمن والبركة ، فروع طيبة ، وأصول مباركة ، معدن الرحمة ، وورثة الأنبياء ، بقية النقباء ، وأوصياء الأوصياء.

منهم الطيب ذكره ، المبارك اسمه ، أحمد الرضي ، ورسوله الأمي ، من الشجرة المباركة ، صحيح الأديم ، واضح البرهان. والمبلغ من بعده ببيان التأويل ، وبحكم التفسير ، علي بن أبي طالب ، عليه من الله الصلاة الرضية ، والزكاة السنية ، لا يحبه إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضه إلا منافق شقي.

(41/1)

قال: فلما سمع الأعرابي ذلك ، ضرب بيده إلى قائمة سيفه وقام مبادرا.

فضرب ابن عباس يده إليه وقال: إلى أين يا أعرابي ؟

قال: أجالد القوم أو تذهب نفسي.

قال ابن عباس: اقعد يا أعرابي ، فإن لعلي محبين لو قطَّعهم إربا ما ازدادوا له إلا حبا ، وإن لعلي بن أبي طالب مبغضين لو ألقمهم العسل ما ازدادوا له إلا بغضا.

قال: فقعد الأعرابي ، وخلع عليه ابن عباس حلتين حمراوين (1).

---

(1) زين الفتى – مخطوط.

(42/1)

[المقداد]

ومنها قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه: ((عن المعروف بن سويد قال: كنت بالمدينة حين بويع عثمان ، فرأيت رجلا – وهو يصفق بإحدى يديه على الاخرى – فقلت: ما شأنك يا هذا

؟

قال: عجبا لقريش واستئثارهم بهذا الأمر عن أهل البيت ، الذي أنزل الله فيهم هذه الآية: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب:33] ، أهل بيت النبوة ، ومعدن الفضيلة ، ونجوم الأرض ، ونور البلاد ، والله إن فيهم رجلا ما رأيت رجلا بعد محمد صلى الله عليه وآله أَقْوَلَ بالحق ، ولا أقضى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف منه.

قلت: من أنت يرحمك الله ؟

قال: أنا المقداد بن عمرو.

قلت: من هذا الذي ذكرت ؟

قال: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب.

قال: فلبثت ما شاء الله ، ثم لقيت أباذر فحدثته بما قال المقداد فقال: صدق أخي)) (1).

---

(1) الجوهري في السقيفة. هامش زين الفتى – مخطوط. تاريخ اليعقوبي 163/2.

(43/1)

[أبو ذر]

ومنها: قول أبي ذر رضي الله عنه قال: ((وبلغ عثمان أن أباذر يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع إليه الناس ويحدث بما فيه الطعن عليه ، وأنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري ، أنا جندب بن جنادة الربذي ، إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم.

فهم الصفوة من نوح والآل من إبراهيم والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد ، آية شرف شريفهم ، واستحقوا الفضل في قوم ، هم فينا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتونة ، أضاء زيتها ، وبورك زندها ، ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد صلى الله عليه وآله ووارث علمه.

أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها ، أما لو قدّمتم مَن قدَّم الله وأخّرتم من أخّر الله ، وأقررتم الولاية الوارثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله

،

(44/1)

ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه ، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) (1).

---

(1) تاريخ اليعقوبي 171/2.

(45/1)

[ابن أبي الحديد]

قال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة: فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: ((رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك ، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر ، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك)).

وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل؟! ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة ، أو يرفع له ذكرا ، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه ، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا ، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه ، وكلما كتم تضوع نشره ،

(46/1)

وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.
وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ، وتنتهي إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلي حلبتها ، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى.
وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ، ومنه ابتدأ ، فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذه عليه السلام.
وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بآخره إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.
وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

(47/1)

[علم الفقه]

ومن العلوم علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه.
أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة.
وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن ، فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة.
وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام ، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام ، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام.
وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب. وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك ، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.
وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضا فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب ، وعبد

الله بن عباس ، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام ، أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه

(48/1)

وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرة: ((لو لا علي لهلك عمر)) ، وقوله: ((لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)) ، وقوله: ((لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر)) ، فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أقضاكم علي)) والقضاء هو الفقه ، فهو إذا أفقههم. وروى الكل أيضا أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضيا: ((اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه. قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين)) ، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، وهو الذي أفتى في الحامل النية (1) ، وهو الذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعا ، وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب ، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالا.

[علم التفسير]

ومن العلوم علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ، ومنه فرع ، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لأن أكثره عنه

---

(1) كذا.

(49/1)

وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟

فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

[علم الطريقة]

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون ، وعنده يقفون ، وقد صرح بذلك الشبلي ، والجنيد ، وسري ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو محفوظ معروف الكرخي ، وغيرهم ، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة

التي هي شعارهم إلى اليوم ، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.

[علم النحو]

ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم ، وفعل ، وحرف. ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى: معرفة ، ونكرة. وتقسيم وجوه الإعراب إلى: الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم. وهذا يكاد

(50/1)

يلحق بالمعجزات ، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

[الفضائل النفسية]

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية ، والفضائل النفسانية والدينية ، وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها.

[الشجاعة]

وأما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ، ومحا اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة ، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فر قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحدا إلا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية ، وفي الحديث كانت ضرباته وترا.

ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، قال له عمرو: لقد أنصفك.

فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!!

(51/1)

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبد وُد ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبدا ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يدعا أبوه بيضة البلد

انتبه يوما معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجليه على سريره فقعد ، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت.
فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر!!
قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب؟!
قال: لا جرم أنه قتلك وأباك بيسرى يديه ، وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.
وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي ، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها.
[القوة]
وأما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما ، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحدا قط إلا صرعه ، وهو الذي قلع باب خيبر

(52/1)

، واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه ، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ، وكان عظيما جدا ، وألقاه إلى الأرض ، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده ، بعد عجز الجيش كله عنها ، وأنبط الماء من تحتها.
[السخاء]
وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة ، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده ، وفيه أنزل: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } [الإنسان:8-9] ، وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ، وبدرهم نهارا ، وبدرهم سرا ، وبدرهم علانية ، فأنزل فيه { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً } [البقرة:274].
وروي عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ، ويتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجرا.
وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام: ((كان أسخى الناس ، كان على الخلق الذي يحبه الله ، السخاء والجود ، ما قال: لا ، لسائل قط.

(53/1)

وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه ، معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي ، لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس.

فقال: ويحك ، كيف تقول إنه أبخل الناس؟!لو ملك بيتا من تبر ، وبيتا من تبن ، لأنفد تبره قبل تبنه)).

وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها ، وهو الذي قال: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ، وهو الذي لم يخلف ميراثا ، وكانت الدنيا كلها بيده ، إلا ما كان من الشام.

[الحلم]

وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب ، وأصفحهم عن مسي ء ، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل ، حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضا ، فصفح عنه.

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب.

وكان علي عليه السلام يقول: ((ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله)).

فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا فصفح عنه ، وقال: اذهب فلا أرينك. لم يزده على ذلك.

(54/1)

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدوا ، فأعرض عنه ولم يقل له شيئا.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس ، عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت ، وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن ، وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وشتموه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مُوَلّ ، ولا يجهز على جريح ، ولا يقتل مستأسر ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن. ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ولا غنم شيئا من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو.

وتقيَّل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تنس.

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا ، سألهم علي عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء ، فقالوا: لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان ، فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة ، تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم ، بعد قتل ذريع سقطت منه الرءوس والأيدي ، وملكوا عليهم الماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم.

فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضا بالأيدي ، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا ، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأَخلِق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام.

[الجهاد]

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين ، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له؟!!

وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ص وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى ، قتل فيها سبعون من المشركين ، قتل علي نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر ، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي ، وتاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، وغيرهما علمت صحة ذلك ، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما ، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية ، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

[الفصاحة]

وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء ، وفي كلامه قيل: ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)) ، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ، ففاضت ثم فاضت.

وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.

ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيى الناس. قال له: ويحك ، كيف يكون أعيى الناس؟! فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره!!

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة ، وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دُوِّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين ، وفي غيره من كتبه.

[الخُلق]

وأما سجاحة الأخلاق ، وبِشر الوجه ، وطلاقة المحيا والتبسم ، فهو المضروب به المثل فيه ، حتى عابه بذلك أعداؤه.

قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنه ذو دعابة شديدة. وقال علي عليه السلام في ذاك: ((عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة ، وأني امرؤ تلعابة ، أعافس وأمارس)).

وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب ، لقوله له لما عزم على استخلافه: لله أبوك لو لا دعابة فيك ، إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها وسمجها.

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: ((كان فينا كأحدنا ، لين جانب ، وشدة تواضع ، وسهولة قياد ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه)).

وقال معاوية لقيس بن سعد: ((رحم الله أبا حسن فلقد كان هشا بشا ، ذا فكاهة. قال قيس: نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ويبتسم إلى أصحابه ، وأراك تسر حسوا في ارتغاء ، وتعيبه بذلك ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طغام أهل الشام)).

وقد بقي هذا الخُلُق متوارثا متناقلا في محبيه وأوليائه إلى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم علم (1) ذلك.

[الزهد]

وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد ، وبدل الأبدال ، وإليه تشد الرحال ، وعنده تنفض الأحلاس ، ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا.

---

(1) في المطبوع: يع. مصحفة ، ولعل الصواب ما أثبت.

(59/1)

قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد فقدم جرابا مختوما ، فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوضا ، فقدم فأكل ، فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه؟!

قال: خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت.

وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة ، وليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرباس الغليظ ، فإذا وجد كمه طويلا قطعه بشفرة ولم يخطه ، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له ، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح ، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلا ، ويقول: ((لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان)). وكان مع ذلك أشد الناس قوة ، وأعظمهم أيدا ، لا ينقض الجوع قوته ، ولا يخون الإقلال متنه.

وهو الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام ، إلا من الشام ، فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه

[العبادة]

وأما العبادة فكان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة وصوما ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنك

(60/1)

برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورْدَه والسهام تقع بين يديه ، تمر على صماخيه يمينا وشمالا ، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ

من وظيفته؟!!

وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده؟!

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أي قلب خرجت ، وعلى أي لسان جرت.

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة: ((أين عبادتك من عبادة جدك؟! قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)).

[تلاوة القرءان]

وأما قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب ، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول مَن جمعه ، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر ، فأهل الحديث لا يقولون ما

تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة ، بل يقولون تشاغل بجمع القرآن ، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن ، لأنه لو كان مجموعا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه ، كأبي عمرو بن العلاء ، وعاصم بن أبي النجود ، وغيرهما ، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه وعنه أخذ القرآن ، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضا مثل كثير مما سبق.

[التدبير]

وأما الرأي والتدبير فكان من أسدّ الناس رأيا ، وأصحهم تدبيرا ، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار ، وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث ، وإنما قال أعداؤه: لا رأي له ، لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافها ، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال علي عليه السلام: ((لو لا الدين والتقى لكنت أدهى العرب)). وغيره من

الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه ، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن.
ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده ، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب ، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

[السياسة]

وأما السياسة فإنه كان شديد السياسة ، خشنا في ذات الله ، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه ، ولا راقب أخاه عقيلا في كلام جبهه به ، وأحرق قوما بالنار ، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ، ودار جرير بن عبد الله البجلي ، وقطع جماعة وصلب آخرين.
ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان ، وفي أقل القليل منها مقنع ، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه.
فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم ، قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله ، والرئيس المقتفى أثره.

(63/1)

[جلال الفلاسفة وأهل الكتاب للإمام علي]

وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة ، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة ، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بِيَعها وبيوت عباداتها ، حاملا سيفه مشمرا لحربه ، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها ، كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته ، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته ، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر.
وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به ، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه ، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك. فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنفوا في ذلك كتبا ، وجعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه ، وقصروه عليه ، وسموه: سيد الفتيان ، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي أنه سمع من السماء يوم أحد:
لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

(64/1)

[أبوه سيد مكة]

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء ، وشيخ قريش ، ورئيس مكة ، قالوا: قَلَّ أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له ، وكانت قريش تسميه: الشيخ.

وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في مبدأِ الدعوة ومعه غلام وامرأة ، قال: فقلت للعباس: أي شي ء هذا؟!

قال: هذا ابن أخي يزعم أنه رسول من الله إلى الناس ، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام وهو ابن أخي أيضا ، وهذه الامرأة وهي زوجته.

قال: فقلت: ما الذي تقولونه أنتم؟

قال: ننتظر ما يفعل الشيخ ، يعني: أبا طالب.

وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صغيرا ، وحماه وحاطه كبيرا ، ومنعه من مشركي قريش ، ولقي لأجله عنتا عظيما ، وقاسى بلاء شديدا ، وصبر على نصره ، والقيام بأمره ، وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحي إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك.

(65/1)

[النبي ابن عمه]

وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين ، وأخاه جعفر ذو الجناحين ، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أشبهت خلقي وخلقي)) ، فمر يحجل فرحا ، وزوجته سيدة نساء العالمين ، وابنيه سيدا شباب أهل الجنة ، فآباؤه آباء رسول الله ، وأمهاته أمهات رسول الله ، وهو مسوط بلحمه ودمه ، لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب ، وأمهما واحدة ، فكان منهما سيد الناس ، هذا الأول وهذا التالي ، وهذا المنذر وهذا الهادي.

[أول الناس إيمانا]

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى ، وآمن بالله وعَبَدَه وكل من في الأرض يعبد الحجر ، ويجحد الخالق ، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه السلام أول الناس اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيمانا به ، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون.

(66/1)

وقد قال هو عليه السلام: ((أنا الصديق الأكبر ، وأنا الفاروق الأول ، أسلمت قبل إسلام الناس ، وصليت قبل صلاتهم)).

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك وعلمه واضحا ، وإليه ذهب الواقدي ، وابن جرير الطبري ، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الإستيعاب.

ولأنا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب جملة من فضائله عنَّت بالعرض لا بالقصد ، وجب أن نختصر ونقتصر ، فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه ، لاحتجنا إلى كتاب مفرد ، يماثل حجم هذا بل يزيد عليه ، وبالله التوفيق (1).

---

(1) شرح نهج البلاغة 1/ 16 – 30.

(67/1)

الكتاب

الكتاب مجموعة من الأسئلة التي أثارت الشك في نفس أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام. وجوابات الإمام علي عن تلك التسآؤلات ، وتفنيد تلك الشكوك.

حصلت على ثلاث نسخ من الكتاب:

الأولى: نسخة (أ) مدرجة ضمن مقدمة تفسير المصابيح.

الثانية: نسخة (ب) مفردة.

الثالثة: ضمن كتاب الاحتجاج للطبرسي ، المتوفي في القرن السادس الهجري.

سائلا الله أن يتقبل منا إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين.

عبد الكريم أحمد جدبان

اليمن – صعدة 13 / ربيع الآخر / 1423هـ

الموافق 23 / 6 / 2002م

(68/1)

مسائل الشاك

رواها محمد بن إسحاق الكوفي الأنصاري من طريقين:

إحداهما: عن أبي معشر السعدي (1) وقد كان أدرك عليا عليه السلام.

والأخرى: عن أبي إسحاق (2) عن الحارث عن علي عليه السلام قال: أتى رجل (3) عليا عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني شككت في كتاب الله المنزل!!

---

(1) أبو معشر السندي: هو نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم قيل: توفي سنة 170هـ، قال في تهذيب الكمال: رأى أبا أمامة بن سهل بن حنيف ، وله رؤية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انظر تهذيب الكمال 29/ 322.

(2) أبو إسحاق السبيعي: عمرو بن عبد الله بن علي ، الحافظ الكبير من أكثر الناس ولاء لأهل البيت توفي رحمه الله سنة 127هـ، وقيل: سنة 128هـ، عده الحافظ أبو عبد الله العلوي فيمن روى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام من التابعين ، وقال المزي: كان رحمه الله من العلماء العاملين ، ومن جلة التابعين.

والحارث: هو الحارث بن عبد الله بن جابر الهمداني الأعور: أبو زهير المتوفي سنة 65هـ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان من أفقه الناس وأفرض الناس ، تعلم الفرائض على أمير المؤمنين ، وقد أسيء الظن فيه من قبل رجال الجرح والتعديل لما عرف من مذهبه في التشيع ، قال الذهبي: حديث الحارث في السنن الأربع والنسائي رغم تعنته في الرجال قد احتج به ، وقوى أمره ، والحارث عالم عارف محدث ثقة ، موال لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(3) في كتاب الإحتجاج للطبرسي: جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له: لولا ما في القرءان من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم!

فقال له عليه السلام: وما هو؟

قال: قوله تعالى: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة:67]...

(69/1)

فقال له علي: ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟!

فقال الرجل: إني وجدت الكتاب يُكذِّب بعضه بعضا ، وينقض بعضه بعضا ، ولا يُصدِّق بعضه بعضا ، وكيف لا أشك فيما تسمع يا أمير المؤمنين؟!!

فقال له علي عليه السلام: إن كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، ولا ينقض بعضه بعضا ، ولا يكذب بعضه بعضا ، ولكنك لم تستعمل عقلا تنتفع به ، فهات الذي شككت فيه!

فقال: إني أجد الله يقول في كتابه: { فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } [الأعراف:51] ، ويقول: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة:67] ، ويقول: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم:64] ، (فمرة ينسى ومرة لا ينسى ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي عليه السلام: ويحك هات ما شككت فيه!) (1).

فقال: وأجد الله يقول: { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } [النبأ:38].

ويقول عن مقالتهم: { قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام:23] أفصواب ذلك؟ ويقول: { يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } [العنكبوت:25] ، ويقول: { إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } [ص:64] ، ويقول: { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ } [ق:28] ، ويقول: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يس:65] ، (فمرة يتكلمون ومرة لا يتكلمون ، ومرة تنطق الجلود والأيدي والأرجل ، ومرة لا يتكلمون إلا من

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

أذن له الرحمن وقال صوابا!! ومرة يقول عن مقالتهم: { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام:23] ، فمرة يختصمون ، ومرة لا يختصمون ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي عليه السلام: هات ويحك ما شككت فيه) (1).
قال: وأجد الله يقول: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:22–23] ، ويقول: { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ } [الأنعام:103] ، ويقول: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } [النجم:13–15] ، ويقول: { يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه:109–110] ، (ومن أدركته الأبصار أحاطت به علما ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

فقال له علي عليه السلام: سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى ، هات ويحك ما شككت فيه!) (1).
قال: وأجد الله يقول: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } [الشورى:51] ، وقال: { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء:164] ، وقال: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى } [الشعراء:10] ، وقال: { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا } [الأعراف:22] ، وقال: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } [الأنفال:64] (2) ، { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } [المائدة:41 ، 67] ، { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } [الأعراف:19] ، و{ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ } [ص:75] ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!
فقال له علي رحمة الله عليه: هات ويحك ما شككت فيه!

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.
(2) ذكرت في القرآن ثلاثة عشر مرة.

قال: وأجد الله يقول: { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم:65] ، وسمى الإنسان سميعا بصيرا ، وملكا وربا ، فمرة يقول: ليس له سمي ، ومرة يقول: أسماء كثيرة غير واحدة ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين تقول؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي عليه السلام: هات ويحك ما شككت فيه!

قال: وأجد الله يقول: { لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ } [سبأ:3] ، ويقول: { وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ } [آل عمران:77] ، ويقول:) (1) { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين:15] ، (فمرة ينظر ، ومرة لا ينظر إليهم ، ومن لا ينظر الله إليه عزب عنه ، ومن حجب عنه عزب عنه ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي رحمة الله عليه: هات ويحك ما شككت فيه!

قال: وأجد الله يقول: { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ } [الملك:16] ، وقال: { هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ?} [الحديد:3]

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

، وقال: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } [الحديد:4] ، وقال: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق:16] ، وقال: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ } [الواقعة:85] ، وقال: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } [المجادلة:7] ، وقال: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر:14] ، وقال: { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود:56] ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي رحمة الله عليه: سبوحا قدوسا تبارك وتعالى ، هات ويحك ما شككت فيه!

قال: وأجد الله يقول: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر:22] ، وقال: { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام:94] ، وقال:) (1) { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ } [الأنعام:158] ، يقول مرة: { وَجَاءَ رَبُّكَ } [الفجر:22] ، ومرة يقول: { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام:94] ، ومرة { يَأْتِيَ رَبُّكَ } [الأنعام:158] ، ومرة { يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } [الأنعام:158] ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي عليه السلام: سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى وتقدس! هات ويحك ما شككت فيه!

قال: وأجد الله يقول: (1) { بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } [السجدة:10] ، وذكر أمر المؤمنين فقال: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة:46] ، ويقول: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ } [الأنعام:103] ، ويقول: { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه:110] ،

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

وقال في المنافقين:) (1) { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:77] ، وقال: و { مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ } [العنكبوت:5] ، (فيقول مرة: { يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:77] ، ومرة { يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:77] ، { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام:103] ، ومرة { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه:110] ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي عليه السلام: سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتعالى وتقدس!! هات ويحك أيضا ما شككت فيه.

قال: وأجد الله يقول: ((2) { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا } [الكهف:53] ،) وقال: { يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } [النور:25] ، وقال: { وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } [الأحزاب:10] ،

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

(2) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

فمرة يظنون ومرة يعلمون ، والظن الشك ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي رحمة الله عليه: هات ويحك ما شكت فيه.

قال: وأجد الله يقول:) (1) { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأنبياء:47] ، ويقول: { وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ } [القارعة:8] ، (وقال: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ } [القارعة:6] ، وقال: { فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } [الكهف:105] ، وقال: { فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } [غافر:40] ، فمرة تقام الموازين ، ومرة لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ومرة يحاسبون ، ، ومرة لا يحاسبون ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟!

فقال له علي رحمة الله عليه: هات ويحك أيضا ما شككت فيه.

قال: وأجد الله يقول: { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } [السجدة:11] ، وقال: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

حِينَ مَوْتِهَا } [الزمر:42] ، وقال: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } [النساء:97 ، النحل:28] ، وقال: { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } [الأنعام:61] ، وقال: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ } [النحل:32] ، فمرة يقول: { يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ } [السجدة:11] ، ومرة يقول: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } [الزمر:42] ، ومرة يقول: { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } [الأنعام:61] ، وقال: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ } [النحل:32] ، ومرة يقول: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } [النساء:97 ،النحل:28] ، فأي ذلك يا أمير المؤمنين.؟ وكيف لا أشك فيما تسمع؟ فقد هلكت إن لم يرحمني ربي!! ويشرح لي في صدري بما عسى أن يجريه على يديك ، فإن لم يكن ذلك وكان الرب حقا والكتاب والرسل حقا ، لقد خبتُ وخسرتُ ، وإن يكن الكتاب باطلا! والرسل باطلا

، وما وعدوا وأوعدوا فما علي من بأس فقد نجوت!!
فقال علي رحمة الله عليه: هات ويحك ما شككت فيه.

(79/1)

قال: حسبي ما ذكرت لك فإن يكن عندك علم فهاته ، لعل الله يرزقني علي يديك خيرا ، وإن يكن سوى ذلك فما من رب ولا رسول ولا ثواب ولا عقاب!!

[جوابات أمير المؤمنين عليه السلام]

فقال له علي عليه السلام: سبوحا قدوسا ربنا تبارك وتقدس!! ونشهد أنه الحق الدائم الذي لا شريك له ، ولا شيء مثله ، وأن الكتاب والرسل حق عليهم السلام ، والثواب والعقاب حق ، ولكنا سنعلمك ما شككت فيه ، ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على محمد وعلى النبيئين وعليهم السلام ورحمة الله) (1).

أما قوله عز وجل: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة:67] ، فإنما يعني بالنسيان: أنهم نسوا الله في دار الدنيا ، فلم يعملوا له بالطاعة ، ولم يؤمنوا به وبرسوله ، فنسيهم في الآخرة ، فلم يجعل لهم في ثوابه نصيبا ، فصاروا منسيين من الخير ، فكذلك (2) تفسير قوله: { فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } [الأعراف:51] ، يعني: لا يثيبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا ذاكرين ، حين آمنوا به وبرسوله ، وخافوه بالغيب ، وآثروه ورسوله.

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

(2) في (ب): فذلك.

(80/1)

وأما قوله تعالى: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } [مريم:64] ، فليس بالذي ينسى ، ولا يغفل تبارك وتعالى وتقدس!! وهو الحفيظ العليم ، { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك:14] ، وقد تقول العرب في بعض النسيان للملك والسيد: نسيتنا فلا تذكرنا ، يعنون أنه لا يأتينا منك خير.

(أَفَهِمْتَ ما ذكرت لك؟!

قال: نعم فرجت عني غما ، وكشفت عني بعض ما بي ، وحللت بي عقدة ، فكشف الله همك

، وأعظم أجرك يا أمير المؤمنين) (1).

قال: وأما قوله تعالى: { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } [النبأ:38] ، وقوله حيث استنطقوا: { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام:23] ، وقوله: و { يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } [العنكبوت:25] ، وقوله: { إِنَّ

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } [ص:64] ، وقوله: { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ } [ق:28] ، وقوله: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يس:65] ، فإن ذلك ليس في موطن واحد ، بل في مواطن في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة مما يعدون ، (فيجمع الله الخلائق في ذلك اليوم في موطن فيتعارفون فيه ، ويكلم بعضهم بعضا ، ويستغفر بعضهم لبعض ، أولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرسل والأتباع ، وتعاونوا على البر والتقوى في دار الدنيا ، ويلعن أهل المعاصي بعضهم بعضا ، الذين بدت منهم المعاصي ، وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ، المستكبرين والمستضعفين يلعن بعضهم بعضا ، ويكفر بعضهم ببعض) (1) ، والكفر في هذه الآية البراءة ، يقول: تبرأ بعضهم من بعض ، ونظيرها قول إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمد وآله والمرسلين ، حيث قال لأبيه وقومه: { كَفَرْنَا بِكُمْ } [الممتحنة:4] ، يقول: تبرأنا منكم ، ونظيرها قول الشيطان حين قال لما قضي الأمر: { إِنِّي كَفَرْتُ

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ } [إبراهيم:22] ، يقول: برئت مما أشركتموني من قبل.

ثم يجمعون في مواطن أخرى يفر بعضهم من بعض ، (لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر وعظيم البلاء) (1) ، فذلك قوله عز وجل: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ

وَبَنِيهِ ?} [عبس:34-36] ، (أن تعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ، { لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } [عبس:37] ، ثم يجمعون في موطن يبكون فيه ، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معاشهم ، ولتصدعت الجبال إلا ما شاء الله ، ولا يزالون كذلك حتى يبكون الدم) (2).

ثم يجمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون: { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام:23] ، ولا يقرون بما عملوا ، فيختم الله على أفواههم ، وتستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل

---

(1) سقط من (أ) و (ب): ما بين القوسين.

(2) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

معصية بدت منهم ، ثم يرفع الخاتم عن ألسنتهم فينطقون ، فيقولون لجلودهم وأيديهم وأرجلهم: لم شهدتم علينا؟! فتنطق فتقول: { أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } [فصلت:21].

ثم يجمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق ، فلا يتكلم أحد { إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } [النبأ:38] ، فيقام الرسل صلوات الله عليهم فتسأل ، فذلك قوله لمحمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء:41] ، والشهداء هم الرسل على محمد وآله وعلى الرسل السلام.

ثم يجمعون في موطن يكون فيه مقام محمد المحمود على محمد وآله السلام ، فيقوم فيثني على ربه جل ثناؤه ، وتباركت أسماؤه ، وحسن بلاؤه ، ما لم يثن أحد قبله ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا غير مرسل ، ولا يثني أحد مثله بعده بمثله.

ثم يثني على ملائكة الله عليهم السلام ، ولا يبقى ملك مقرب إلا أثنى عليه محمد ما لم يثن عليه أحد قبله ولا يثني عليه أحد بعده بمثله.

ثم يبدأ بالصديقين والشهداء ، ثم الصالحين ، فيحمده أهل السماء والأرض ، فذلك قوله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله

وسلم: { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء:79]. فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظ ونصيب!! وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظ ولا نصيب!!

ثم يجمعون في موطن يجتمعون فيه ، ويدان لبعض الخلق من بعض وهو القصاص ، وذلك قبل الحساب ، فإذا أخذوا للحساب شغل كل بما لديه ، فنسأل الله بركة ذلك اليوم.

أَفَهِمْتَ ما ذكرت لك؟!

قال: نعم ، فرجت عني غما ، فرج الله عنك كل هم وغم ، وحللت عني عقدة ، فعظَّم الله أجرك يا أمير المؤمنين.

(قال: وأما قوله: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:22-23] ، وقوله: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام:103] ، وقوله: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } [النجم:13-14] ، وقوله: { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } [طه:109] ، وقوله: { يَعْلَمُ

مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:110]) (1).

أما قوله: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:22-23] ، فإن ذلك في موطن ينتهي بأولياء الله إلى نهر يقال له: الحيوان ، بعد ما يفرغ من الحساب ، فيغتسلون فيه ويشربون منه ، فتنضر وجوههم وهو الإشراق ، ويذهب عنهم كل قذى ، فينظرون إلى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة ، ومنه يدخلون الجنة ، وذلك قول الله حين أخبر عن تسليم الملائكة حيث يستقبلونهم في ذلك الموطن: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } [الزمر:73] ، حيث يذهب عنهم كل قذى ، وأيقنوا بالجنة ، (ولا يعني بالنظر الرؤية ، لأن الأبصار لا تدركه وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، وذلك مدحة امتدح بها ربنا تبارك وتعالى وتقدس ، فأحق من لا تنقطع مدحته في الدنيا ولا في الآخرة الله رب العالمين.

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

وقد قال موسى نبي الله على محمد وعلى موسى السلام: { رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } [الأعراف:143] ، فأبدى ربنا تبارك وتعالى وتقدس بعض آياته فتقطع الجبل وصار رميما ، وخر موسى صعقا ، يعني: ميتا ، فتاب وأحياه الله ، ومنه: { سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف:143] بأنك لا تُرَى ، وإنما يعني بقوله: { أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } من أمته.

وقد سأل قوم موسى فقالوا: { أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ } [النساء:153] ، ومن سأله أو ظنه ظنا فخرج من الدنيا على ذلك فقد برئ من دين الله ، إن الله تبارك وتعالى وتقدس لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا ينبغي أن تنقطع مدحته.

وكذلك لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكذلك قال: { يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ } [الأنعام:14] ، وكذلك قال: { مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } [الجن:3] ، وقال: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ

مِنَ الذُّلِّ } [الإسراء:111] ، مع ما ذكر من مدحته ، ولا يسع أحدا أن يشك في مدحته في الدنيا والآخرة) (1).

وأما قوله: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [النجم:13] ، فإنما يعني محمدا صلى الله وآله وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى ، التي لا يجاوزها خلق من خلق الله ، فرأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام في صورته هذه المرة وقبلها مرة أخرى ، فذلك قوله سبحانه: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى } [النجم:13-14] ، وقد أعلم في آخر الآية أنه رأى غير ربه حيث يقول: { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } [النجم:17-18] ، وذلك أن خلق جبريل عليه السلام آية عظيمة ، هو من الروحانيين الذين لا يعلم خلقهم وصورهم إلا الله رب العالمين.

(وأما قوله: { لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } [طه:109] ، وقوله: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه:110] ، فأما ما بين أيديهم فأمر الآخرة ، وأما ما خلفهم فأمر الدنيا ، { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ? فلا تحيط الخلائق بالله علما ، هيهات هيهات!!
جعل على أبصار القلوب عن ذلك الغطاء ، فلا وهم يناله ، ولا قلب ينعته ، ولا يخطر على بال ، ولا يعرف إلا بالآيات والسلطان ، والقدرة والجلال والعظمة ، كما وصف نفسه في القرآن { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:11] ، و { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام:103] ، { الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } [الحديد:3] ، { الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [الحشر:24].
خلق الأشياء كلها ، فليس شيء من الأشياء إلا له تبارك وتعالى وتقدس ، أفهمت ما ذكرت لك؟
قال: نعم ، فرجت عني فرج الله عنك كل غم ، وحللت عني عقدة ، فعظَّم الله أجرك يا أمير المؤمنين.
قال: وأما قوله: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ }

[الشورى:51] ، وقوله: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء:164] ، وقوله: { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا } [الأعراف:22] ، وقوله: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى } [الشعراء:10] ، وقوله: { يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } [البقرة:35] ، وقوله: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } [الأنفال:64] ، { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } [المائدة:41 ، 67] ، و { يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ } [ص:75]) (1).
أما قوله: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ } [الشورى:51] ، فهو كما قال الله ، وليس بكائن وراء حجاب ، وقد يرسل الرسول بوحي منه إلى رسل السماء ، فتبلغ رسلُ السماء رسلَ الأرض ، فيتفهمه رسل الأرض من دون مشافهة رسل السماء ، وقد يخلق الكلام بينه وبين رسل السماء من غير مشافهة رسل السماء لأحد من خلقه ، وقد قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام: ((كيف تأخذ الوحي من رب العالمين؟

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

قال: آخذه من إسرافيل.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أين يأخذ إسرافيل؟

قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أين يأخذه ذلك الملك؟

فقال: يقذف في قلبه قذفا)) (1).

فهو كلام الله فكيف ما وصفت لك من كلام الله فإن كلام الله ليس بنحو واحد ، (ولا يجري على نحو واحد.

---

(1) الحديث رواه الإمام الهادي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب مسائل الرازي ، ونص الحديث وقد سأله الرازي: كيف يأخذ جبريل الوحي من الله؟ وكيف يعلمه؟ وكيف السبيل فيه حتى يفهمه؟ فقال عليه السلام: اعلم هداك الله أن القول فيه عندنا كما روي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن ذلك؟ فقال: آخذه من ملك فوقي ، ويأخذه الملك من ملك فوقه ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كيف يأخذه ذلك الملك ويعلمه؟ فقال جبريل عليه السلام: يلقى في قلبه إلقاء ، ويلهمه إلهاما). المجموعة الفاخرة /611.

(91/1)

منه ما يجيء في المنام ، وذلك قول إبراهيم عليه السلام حيث قال: { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } [الصافات:102].

ومنه ما قال الله تبارك وتعالى: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ } [الفتح:27].

ومنه ما قاله الله لمحمد أيضا: { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ } [الإسراء:60].

ومنه ما يبلغ رسل السماء رسل الأرض.

ومنه ما يقذف في قلب الملك قذفا ، وذلك ما قال جبريل عليه السلام لنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما قذف الله في قلب الملك الذي فوق اسرافيل ، أفهمت ما ذكرت لك؟

قال: نعم ، فرجت عني غما!! فرج الله عنك كل غم يا أمير المؤمنين.

وأما قوله: { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم:65] ، فلا سمي له يعني لا مثل له ، فإياك أن تقيس شيئا من كتاب الله برأيك حتى]

(92/1)

تسأل عنه المحققين] من العلماء ، فإنه رُبَّ تنزيل يشبه كلام البشر وفعل البشر ، وتأويله لا يشبه كلام البشر ولا فعل البشر ، كما أنه ليس كمثله شيء من خلقه ، كذلك لا شيء يشبه من فعله ولا كلامه ، أفاعيل البشر ولا كلامه أفهمت ما ذكرت؟

قال: نعم.

وأما قوله: { لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } [سبأ:3] ، وقوله لأهل النار: { وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ } [آل عمران:77] فكذلك ، وكيف يعزب عن من خلق ... { وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام:103 ، الملك:14] ، وهو الشاهد لكل شيء تبارك وتعالى وتقدس.

وأما قوله: { وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ } [آل عمران:77] فإنما يعني بذلك: لا يرحمهم ولا ينظر إليهم بخير ، تقول العرب للرجل البر أو الملك: والله ما تنظر إلينا ، يعنون: أنك لا تصيبنا بخير ، فكذلك النظر من الله إلى خلقه في هاتين الآيتين ثواب أو عقاب ، أفهمت ما ذكرت لك؟

(93/1)

قال: نعم) (1).

وأما قوله: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين:15] ، فإنما يعني: أنهم عن ثواب ربهم وكرامته محرومون.

(وأما قوله: { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ } [الملك:16] ، وقوله: { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } [الزخرف:84] ، وقوله: { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ } [الأنعام:3] ، وقوله: { وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } [الحديد:3] ، وقوله: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه:5] ، وقوله: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } [الحديد:4] ، وقوله: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [المجادلة:7] ، وقوله: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق:16] ، وقوله: { إِنَّ رَبَّكَ

لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر:14] ،

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

وقوله: { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود:56] ، فكذلك الله تبارك وتعالى وتقدس!! من غير أن يكون ما سمى من كينونيته في خلقه ومع خلقه وعلى خلقه ، يجري ذلك منه على نحو ما يجري من المخلوقين ، وهو اللطيف وأعظم وأجل وأكبر من أن ينزل به شيء مما ينزل بخلقه ، هو الشاهد لكل شيء ، والوكيل على كل شيء ، والمنشئ لكل شيء ، والمدبر للأشياء كلها بلا علاج ولا تفكر ، ولا حدث عليه ولا مؤنة تعينه سبحانه وبحمده ، تبارك وتعالى وتقدس.

فإذا جال شيء في صدرك من عظمة الله مما في القرآن من كينونته(1) في الخلق ومع الخلق وفوق الخلق وعلى الخلق ، وتفكر في ديمومة الله وعظمته ، ووسوست نفسك بشيء ، فقل: لا إله إلا الله ، فإن ذلك من وساوس الشيطان ، وتفكر في ديمومة الله قبل أن يخلق خلقا سماء ولا أرضا ، ولا عرشا ولا هواء ، ولا شيئا من السماء والأرض ، فتبصر أنه الدائم الذي لا إحصاء لديمومته وليس مع شيء ، وذلك أنه الأول ، ابتدأ الأشياء لا من شيء ، فكذلك الله فعند ما خلق من الخلق كذا كان قبل أن يخلق الخلق ، ولم

---

(1) في (ب): كينونيته.

يتحول ولا يتحول ولا يأفل مع الآفلين ، فلا تجري عليه زيادة ولا نقصان ، ولا يُدرك ولا يُعرف إلا بالديمومة ، والآيات والسلطان والقدرة دائما سرمدا أبدا ، لا إحصاء لديمومته تبارك وتعالى وتقدس ولا يزال(1) ، ابتدأ خلقه على غير مثال ، وذلك أنه الأول فلا شيء معه ، وخلق الأشياء لا من شيء.

وأما قوله: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر:14] ، فإنما يعني: أن ربك قادر أن يجزي أهل المعاصي جزاءهم ، وهو فاعل ذلك ، وقد تقول العرب للعبد أولمن يأمرونه فيستعصي: إنا لك

بالمرصاد ، يعنون: أنا قادرون على جزائك ، ونحن فاعلون ذلك.

وأما قوله: { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود:56] ، فإنما يعني: أنه حق ، يجزي بالإحسان إحسانا وبالسيء سيئا ، ويغفر لمن يشاء سبحانه وتعالى وتقدس ، أفهمت ما ذكرت لك؟

قال: نعم.

وأما قوله: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر:22] ، وقوله: { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ

---

(1) في (أ): ولا زوال.

أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام:94] ، وقوله: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ } [البقرة:210] ، وقوله: { إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } [الأنعام:158] ، فذلك حق كما قال الله سبحانه ، وليس جيئته كجيئة الخلق ، وقد أعلمتك أنه رُبَّ شيء من كتاب الله تأويله غير تنزيله ، ولا يشبه تأويله كلام البشر ، ولا فعل البشر ، وسأنبئك بطرف منه تكتفي به إن شاء الله تعالى ، من قول إبراهيم عليه السلام حين قال: { إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } [الصافات:99] ، فذهابه إلى ربه: توجهه وعبادته واجتهاده وفراره إلى ربه ، إلا أن تأويله غير تنزيله ، وقال: { وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } [الزمر:6] ، وقال: { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } [الحديد:25] ، فسماه إنزالا ، وإنزاله الأنعام خَلْقُه إياها ، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله.

وقال موسى - على محمد وموسى السلام - حين سقى لابنتي شعيب عليه السلام ، قال الله: { فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى

الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص:24] لما رزقتني من خير فقير (1).

وأما قوله: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } [الأنعام:158] ، فإنما يخبر

محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عن المنافقين والمشركين الذين لم يستجيبوا لله وللرسول ، فقال: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ } حين لم يستجيبوا لي ولرسولي ، { أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } معنى إتيانه: العذاب في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى ، فهذا خبر يخبر نبيه عليه السلام ، ثم قال: { أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ } [الأنعام:158] أن تجيء هذه الآيات ، وذلك قبل طلوع الشمس من المغرب ، (وإنما يكتفي ذووا الألباب والحجج ، أو أولوا النهى أن يعلموا من قول الله: {وَجَاءَ رَبُّكَ } [الفجر:22] ، { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام:94] ، أنه يكشف الغطاء ، فترى ما وعدوا وأوعدوا) (1).
وقال في آية أخرى: { فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } [الحشر:2] ، يعني بذلك: أنه أرسل عليهم عذابا ، فذلك إتيانه إياهم ، وقال: { فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ } [النحل:26] ، فإتيانه البنيان من القواعد: إرساله العذاب عليهم.
(وقد قال فيما أنزل: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا } [الرعد:41] ، يعني بذلك ما يهلك من القرون ، وكذلك ما وصف من أمر الآخرة ، تبارك وتعالى وتقدس ، وتجري أموره في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما تجري أموره في الدنيا ، لا يتعب ولا ينصب ولا يأفل مع الآفلين ، فاكتَفِ بما وصفت لك من ذلك ، مما تجيل في صدرك مما أنزل الله في كتابه ، وتَسمَّى به من أفاعيله.
واعلم أن تأويل أفاعيله غير ما وجه لفعل البشر ، لأنه لا ينزل به ما ينزل بالبشر ، أفهمت جميع ما ذكرت لك من جميع ما في

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

كتاب الله ، مما تنزيله على نحو من كلام البشر؟ هو أعظم وأجل وأعز وأكبر ، جل ثناؤه من أن يكون كذلك وتعالى وتقدس.

وقال: { قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة:30 ، المنافقون:4] ، يقول: لعنهم الله ، فسمى اللعنة: قتالا ، وقال: { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ } [عبس:17] ، يقول: لُعن الإنسان ما أقل شكره!! وقال لنبيئه صلى الله عليه وآله وسلم: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال:17] ، فسمى فعل النبي وفعل المؤمنين: فعلا منه ، ألا ترى أن تأويله غير تنزيله) (1).

وقال: { بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } [السجدة:10] ، وذكر المؤمنين فقال: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [الأنعام:103] ، وقال للمنافقين: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:77] ، وقال: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف:110].

أما قوله: { بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } [السجدة:10] ، يقول: هم بالبعث كافرون ، فسمَّاه: لقاءاً ، وكذلك ذكر المؤمنين فقال: { يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ } [البقرة:46] ، يقول: يوقنون أنهم مبعوثون ، والظن منهم يقين ، وكذلك { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ } [الكهف:110] ، يقول: من كان يوقن أنه مبعوث ، ومحاسب ومجزي ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، وقال: { مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [العنكبوت:5] ، يقول: من كان يوقن أنه مبعوث وإنما وُعِدَ وأُوعِدَ جاءٍ عن الثواب والعقاب ، فسمى اللقاء: أجلا ، ولو كان إلى ما ذهب وَهْمُك من لقاء ربه ، فكان يكون { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ } [الكهف:110] ، والذين { هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ } [السجدة:10] ، بلفظ الرؤية ، وليس كذلك ، فاللقاء: الرؤية ، واللقاء: البعث ، ولا يعني به الرؤية ، لأن الأبصار

لا تدركه ، وكذلك { إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:77] ، يعني: المنافقين ، يقول: لا يزال النفاق في قلوبهم إلى يوم يبعثون ، (أفهمت ما ذكرت لك؟!

قال: نعم.

قال: وأما قوله: { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا } [الكهف:53] ، وقوله عمن أوتي كتابه بيمينه: { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ } [الحاقة:20] ، وقوله: { يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } [النور:25] ، وقوله للمنافقين: { وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } [الأحزاب:10]) (1).

أما قوله: { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا } [الكهف:53] ، فإنما يعني بالظن: اليقين ، يقول: إنهم أدخلوها.

وأما قوله عمن أوتي كتابه بيمينه: { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ } [الحاقة:20] ، يقول: إني أيقنت.

---

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

وأما قوله: { وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } [الأحزاب:10] ، فليس ذلك الظن باليقين ، ولكنه شك ، والظن ظنان:

ظن يقين.

وظن شك.

فما كان في كتاب الله من ذكر الظن في أمر المعاد فهو يقين ، وما ذكر في أمر الدنيا فهو شك ، (وذلك لو كان إلى ما ذهب إليه وَهْمُك لا يكون مؤمنا ، وذلك لأن ما ذكر الله من الظن الذي سماه من المؤمنين في باب الآخرة لا يكون شكا ، لأن من شك في شيء من الأشياء في كتاب الله المنزل كان مشركا ، أفهمت ما ذكرت لك من أمر الظن في الدنيا والآخرة؟

قال: نعم) (1).

قال: وأما قوله: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأنبياء:47] ، فهو العدل تؤخذ به الخلائق ، ويدين الله الخلق بعضهم من بعض ، ويجزيهم بأعمالهم ، والدين هاهنا: قصاص.

(1) سقط من الاحتجاج: ما بين القوسين.

وأما قوله لأهل الجنة: { فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } [غافر:40] ، فإن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((حقت مودتي لمن تزاور في الله ، وتحآب في الله ، وتباذل في الله ، المتحابون في الله وجوههم من نور ، على منابر من نور ، عليهم ثياب من نور ، قيل: من هؤلاء؟

قال: ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، ولكنهم قوم تحآبوا بجلال الله في الله على طاعة الله ، في دار الدنيا إذا عُصِيَ الله في دار الدنيا ، لا يزالون جلوسا على تلٍّ حتى يُفرَغ من الحساب ، ويدخلون الجنة لا يحاسبون)).

قال: وأما قوله: { وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ } [القارعة:8] ، و { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ } [القارعة:6] ، فإنما يعني بذلك: قلة الحساب في الموازين وكثرتها ، أفهمت ما ذكرت لك؟

قال: نعم.

قال: وقوله: { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [السجدة:11] ، وقوله: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } [الزمر:42] ، وقوله: { تَوَفَّتْهُ

رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } [الأنعام:61] ، وقوله: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ } [النحل:32] ، وقوله: { تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } [النحل:28] ، فإن الله تبارك وتعالى وتقدس يدبر الأمور كيف يشاء ، ويوكل من خلقه ما يشاء بمن يشاء.

وأما قوله: { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } [السجدة:11] ، فإن الله وَكَّله بخاصة من خلقه وملائكة معه.

وأما قوله: { ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [السجدة:11] ، فإنما يعني به: أنهم ينشرون من بعد الموت ، فسمى النشور: رجعة ، وكذلك قال: { إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام:38] ، يقول: ينشرون من بعد الموت ، فسمى النشور: رجعة.

وأما قوله: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا } [الزمر:42] ، فكذلك الله يتوفى الأنفس كيف

يشاء ، على يدي من يشاء من خلقه.

وأما قوله: { تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } [الأنعام:61] ، فإن الله وَكَّلهم بخاصة من خلقه ، والملائكة الذين ذكر

(105/1)

الله: تتوفاهم طيبين ، والملائكة الذين ذكرهم الله تتوفهم ظالمي أنفسهم ، وَكَلَهُم بخاصة من خلقه تبارك وتعالى وتقدس ، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفشيه إلى كل الناس ، منه ما يطاق حمله ، ومنه ما لا يطاق حمله ، إلا من رزقه الله تعالى إطاقته من خاصة أوليائه ، وإنما يكفيك وجميع المؤمنين أن تعلموا أن الله تبارك وتعالى وتقدس ، المميت المحيي ، فإنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه وملائكته أو غيرهم ، بغير علاج منه تبارك وتعالى وتقدس ، أفهمت ما ذكرت لك؟

قال: نعم ، فَرَّجْتَ عني كل غم ، فرَّج الله عنك كل غم ، وكشف عنك كل هم ، كما كشفت عني ما كان بي من الغم ، وذلك مَنُّ الله وحده لا شريك له ، [له] الحمد والمنُّ والكبرياء والطول ، لا إله إلا هو ، وأشهد أنه الحق الدائم الذي ليس كمثله شيء ، ولا ينزل به ما ينزل بخلقه ، وأنه خالق الأشياء كلها ، والقادر على الأشياء ، لا مقدور عليه ، ولا رب غيره ، ولا رآد لحكمه ، وهو سريع الحساب.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأُقِرُّ بما جاء به من عند الله ، وأن الكتاب حق ، يصدق بعضه بعضا ، نسأل الله ألا يزيغ قلوبنا

(106/1)

بعد إذ (1) هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة ورضوانا ، إنه الوهاب ، عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، وأمتع بك عامة المسلمين.

---

(1) في جميع المخطوطات: أن. ولعل الصواب ما أثبت.

(107/1)

الفهرس

الطبعة الأولى
1423هـ- 2002م
